

— ١٢٤ —

وبلغ من وثوق بعض العلماء بصحة هذه التجارب أن عالما كبيرا كالسير آرثر أدنجتون أعلن أن الأمر فيها قلما يحتمل الخلاف ، فقال « لا أعتقد أن هناك انقساماً ذا بال في رأى القائلين بهبوط مذهب الحتمية . فإن كان هناك انقسام في هذا الصدد بين المشتغلين بالعلوم فأنما هو انقسام الراضين والآسفين . فأما الآسفون فهم بطبيعة الحال يرجون أن تعود الحتمية إلى مثل مكانها الذى كانت تشغله في العلوم الطبيعية ، ولعلهم لا يرجون المستحيل ، ولكنى لا أرى سبباً لتوقع رجعتها في أى شكل وعلى أية صورة » .

ويضاف إلى هذا جميعه أن المادة قد انتهت إلى شعاع ، وأن الاشعاع أوشك أن يدخل في حساب الحركة الخردة التى يرصد جانب منها بالحساب ويدق جانبها الأكبر عن الحساب والتخمين .

* * *

فالحتمية العلمية لا تثبت لقوانين المادة أنها تنفرد بتفسير كل سر من أسرار الطبيعة وكل حركة من حركات الأجسام ، ولا تزال تعمل حيث تعمل ومعها متسع كبير للاختيار في أصغر الذرات فضلاً عن أعظم الأجرام ، وهى لا تتمتع المؤمن أن يقول مع العلم كما يقول مع الدين « عالم الغيب لا يعرب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين » وليس معنى هذا أن الكون يجرى على غير نظام ، وإنما معناه أن النظام لا يمنع الاختيار ولا يغلق الباب على الإيمان .

* * *

وإلى هنا ندع العلم والفلسفة في موقفهما الأخير من مسألة القدر ، ونعود إلى إجمال هذه المسألة كما عرضت في الأديان الكتابية ، وهى الموسوية والمسيحية والإسلام .

* * *

فالكلام على التقدير الإلهي قديم في الكتب اليهودية ، وردت الإشارة إليه من أول الأسفار المعتمدة إلى آخرها ، ولكن على درجات في أساليب